بواكير ظهور التفسير العلمي للقرآن الكريم، وتطوره في العصر الحديث

إعداد
طه محمد صلاح الدين طه
أ.د عبد الكريم محمد جبل
أستاذ العلوم اللغوية كلية الآداب - جامعة طنطا
أ.د السيد عبد المقصود جعفر
أستاذ الدراسات الإسلامية كلية الآداب - جامعة بنها

المستخلص :
اهتم هذا البحث بإيضاح أسباب ظهور التفسير العلمي للقرآن الكريم، موضحا العلماء والمفسرين الذين أيّدوا هذا اللون من ألوان التفسير وناصروه، ومارسوه عمليا في تفاسيرهم.

وترجع بدايات ظهور التفسير العلمي للقرآن الكريم إلى القرن الخامس الهجري، وتحديدا إلى أبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) فقد دعا إلى هذا الاتجاه التفسيري بقوة، وأيده القاضي ابن العربي (ت ٥٤٣هـ) في كتابه قانون التأويل، حيث قسم علوم القرآن إلى ثلاثة أقسام، وهي : قسم التوحيد، وأدخل فيه معرفة حقائق المخلوقات، وقسم الأحكام، وقسم التذكير، وفي القرن السادس الهجري برز الإمام الفخر الرازي (ت ٦٠٦ هـ) بوصفه علما من أعلام التفسير العلمي للقرآن الكريم، وفي القرن الثامن الهجري ظهر بدر الدين الزركشي (ت ٧٩١ هـ) مؤيدا قويا للتفسير العلمي، وتابعه السيوطي (ت٩١١هـ) في تأييده لهذا اللون من ألوان التفسير.

وقد ازدادت العناية بالتفسير العلمي للقرآن الكريم في العصر الحديث، وذلك بسبب كثرة الكشوف العلمية التي امتاز بها هذا العصر، والتي ساعدت على رواجه.

الكلمات الافتتاحية : نشأة التفسير، التفسير، التفسير العلمي .

مقدمة :

الحمد لله حمدًا يوافي نعمه ويكافئ مزيده، حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، ملء السماوات وملء الأرض وملء ما بينهما، وملء ما شئت من شيء بعد، والصلاة والسلام على صفوة الله من خلقه وخيرته من عباده، سيدنا محمَّد النبي الأمي وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، ثم أما بعد،

فلقد أنزل الله -سبحانه وتعالى- القرآن الكريم وجعله معجزة باقية إلى يوم الدين، وضمنه كثيرًا من الإشارات العلمية من خلال ذكرها كقضايا عامة، أو ذكر تفاصيلها ودقائقها، والتي لم يتوصل إليها العلماء إلا في العصر الحديث.

ودعا القرآن الكريم في كثير من آياته إلى التفكر والتأمل في خلق الله وآياته الكونية فقال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ [الرعد: ٣]

وقال تعالى : ﭽ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ [ق: ٦].

وقال تعالى :ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ [النحل: ١٠-١١].

فبدأ المهتمون من المفسرين بالجانب العلمي في القرآن الكريم باستخراج ما تضمنه الآيات القرآنية بين جنباتها من الإشارات العلمية، وأصبحت الإشارات العلمية في القرآن الكريم مجالًا خصبًا للمفسرين والعلماء، كل يتناولها وفق اتجاهاته، وما توفر لديه من معارف وعلوم في ضوء المكتشفات العلمية الحديثة.

ولقد حاول المفسرون فهم ما ورد في القرآن الكريم من إشارات علمية تتعلق بالكون وما فيه من كائنات، وتعددت اتجاهاتهم في تناولها، فمنهم من غالوا في ربط الآيات القرآنية التي تحوي قضايا علمية بالنظريات والحقائق العلمية، فطوعوا معاني الآيات ومدلولاتها لمكتشفات العلوم التجريبية سواء الثابتة الصحيحة، أو التي ما زالت في مرحلة الفرضيات، بل إن بعضهم استخدم النظريات المتغيرة وربطها بالآيات القرآنية، واتضح عكسها بعد ذلك، فحملوا الآيات ما لا تطيق وخرجوا بها عن مدلولها، ليبرهنوا عل أن القرآن يحتوي على كل العلوم والمعارف ما اكتشف منها وما لم يكتشف.

ومنهم من تناولوا الإشارات العلمية في القرآن الكريم باعتدال، فوظفوا الحقائق العلمية الثابتة في فهم الآيات، حيث إن الحقائق العلمية تعين على فهم وتوضيح الإشارات العلمية في القرآن الكريم، وتبرز جانبًا مهمًا من جوانب إعجازه، ألا وهو الإعجاز العلمي.

ويتناول الباحث في هذا البحث نشأة التفسير العلمي للقرآن الكريم وبواكير ظهوره، ثم تطوره في العصر الحديث.

نشأة التفسير العلمي للقرآن الكريم:

لقد ذكر القرآن الكريم في آيات كثيرة منه جانبًا من الحقائق العلمية كقضايا عامة، ودخل في تفاصيل بعض الحقائق الأخرى، وبذلك فقد نبه الأذهان إلى التفكر والتدبر في الآيات الإلهية، وخلق السموات والأرض، وما إلى ذلك.

كما أن ورود حقائق علمية في القرآن كشف عنها العلم الحديث إنما هو إعجاز للبشر، كآيات مراحل خلق الإنسان، ونزول المطر، ... إلخ، فالمراحل التي ذكرها القرآن هي نفس المراحل التي حددها العلم الحديث

بعد تقدم وسائله وأدواته[١].

وأخذ المسلمون يتعرفون إلى أفكار جديدة وأديان أخرى من خلال الفتوحات الكبيرة التي شهدها القرن الأول الهجري، وبعد انحسار الحروب نسبيًا، بدأت عملية التبادل الثقافي بين المسلمين وأصحاب الديانات والحضارات الأخرى في إيران والروم واليونان، وارتفعت وتيرة ترجمة الكتب العلمية إلى اللغة العربية، وبلغت ذروتها في عهد هارون الرشيد والمأمون العباسي[٢].

«لقد أخذ المسلمون علومًا من قبيل: الطب والرياضيات والنجوم والعلوم الطبيعية والفلسفة من اليونان، وأضافوا إليها الشيء الكثير من عندهم، حتى تمكنوا بعد فترة وجيزة من امتلاك ناصية العلم، وبلغوا ذروته في بضعة قرون، حيث أنتج المسلمون في القرن الثالث والرابع للهجرة أفضل المؤلفات في حقل الطب، مثل كتاب القانون لابن سينا، والفلسفة مثل كتاب الشفاء لابن سينا، والرياضيات والنجوم، وقد أدت ترجمة كتب ومؤلفات غير المسلمين في مختلف العلوم وانتشارها في مختلف البقاع الإسلامية الواسعة إلى ما يبدو منه التعارض بين ظاهر بعض آيات القرآن والعلوم

(١) ينظر: المعجزة الخالدة، حسن ضياء الدين عتر، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط٣، ١٩٩٤م، ص٣٣٤-٣٣٥، إعجاز القرآن، عبد الله شحاتة، دار مايو الوطنية للنشر، القاهرة، (د.ت) ، ص١١١-١١٢.

(2) ينظر: تاريخ التمدن الإسلامي، جورجي زيدان، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، (د.ت)، ١٥٣/٢، العلاقة بين القرآن والعلم، محمد علي رضائي الأصفهاني، تعريب: السيد الهاشمي، مركز البحوث والدراسات القرآنية، إيران، ط١، ٢٠١٥م، ص٤٤.

الحديثة»[١].

ولقد لجأ علماء المسلمين إلى طريقتين لرفع هذا الإشكال، وذلك على النحو التالي[٢]:

أ) الرد على المسائل الباطلة التي اشتملت عليها هذه العلوم، لأن الكثير من الأسس العلمية والفلسفية لدى اليونان كانت قابلة للنقد والإشكال من ناحية، ومخالفة للدين الإسلامي من ناحية أخرى.

ب) تطبيق آيات القرآن الكريم على العلوم التجريبية اليونانية، لكي يثبتوا للناس أن مسائل القرآن العلمية صحيحة.

ومن هنا ظهر وانتشر التفسير العلمي للقرآن الكريم، ومن أسباب ظهوره في تلك الفترة[٣].

١) حثّ القرآن الكريم للناس على التفكّر والتدّبر في الآيات الكونية في السموات والأرض وما فيهما، وآيات خلق الإنسان، ... إلخ.

٢) ترجمة العلوم الطبيعية والفلسفية إلى العربية، وانتشارها بين المسلمين.

٣) فرضية أن جميع العلوم موجودة في القرآن وأن علينا أن نستخرجها منه.

(1) العلاقة بين القرآن والعلم، محمد علي رضائي، ص٤٤.
(2) ينظر: المرجع السابق، ص٤٤-٤٥.
(١) ينظر: العلاقة بين القرآن والعلم، محمد علي رضائي ، ص٤٦-٤٧

٤) تصدي علماء المسلمين لهجمة الغرب على الدين الإسلامي، وترويجهم لفكرة التعارض بين الدين والعلم، أدى إلى تسرب فكرة التناغم بين الآيات القرآنية والعلوم التجريبية، ومن ثم إلى التفاسير والمؤلفات التي صُنفت في هذا الاتجاه.

وترجع بدايات ظهور هذا اللون من ألوان التفسير إلى القرن الخامس الهجري، وتحديدًا إلى أبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ)، والذي دعا إلى هذا الاتجاه بقوة، ودافع عنه.

وزاد الغزالي في إيضاح تأييده للتفسير العلمي في كتابه: جواهر القرآن، حيث سمى الفصل الخامس منه: «كيفية انشعاب سائر العلوم من القرآن» فذكر علوم الطب والنجوم والهيئة، وهيئة بدن الحيوان، وتشريح أعضائه، ثم مثّل ببعض الآيات التي لا يتم تفسيرها -في رأيه- إلا بمعرفة بعض العلوم، كعلم الطب في ***قوله تعالى:*** وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ) [الشعراء: ٨٠]، وعلم الهيئة والفلك في قوله تعالى: ((وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ) [يس: ٣٩][(١)].

ولقد وجدت دعوى الغزالي آذانًا صاغية عند القاضي ابن العربي (ت ٥٤٣هـ)، فيقول في كتابه: قانون التأويل: «كتاب الله وسنة نبيه بيان لكل معلوم، فإن العقول وإن خلقت مستعدة لقبول المعارف وتمييز الحقائق، فليس

(١) ينظر: جواهر القرآن، أبو حامد الغزالي، تحقيق: محمد رشيد رضا القباني، دار إحياء العلوم، بيروت، ط٢، ١٩٨٦م، ص٣٠، اتجاهات التفسير في العصر الراهن، عبد المجيد المحتسب، مكتبة النهضة الإسلامية، الأردن، ط٣، ١٩٨٢م، ص٢٤٧، التفسير العلمي التجريبي للقرآن الكريم، جذوره وتطبيقاته والموقف منه، عادل علي الشدي، مدار الوطن للنشر، الرياض، ط١، ٢٠١٠م، ص٢٤-٢٥.

في الإمكان إحاطتها بجملتها، فإن الإحاطة لا تكون إلا للمحيط»[١].

وقد قسّم ابن العربي (ت ٥٤٣هـ) علوم القرآن إلى ثلاثة أقسام: قسم التوحيد وأدخل فيه معرفة المخلوقات بحقائقها، وقسم التذكير، وقسم الأحكام، فيقول: «فقسم التوحيد فيه تدخل معرفة المخلوقات بحقائقها، ومعرفة الخالق بأسمائه وصفاته وأفعاله، ويدخل في علم التذكير: الوعد والوعيد، والجنة والنار، والحشر، وتصفية الباطن والظاهر عن أخلاط المعاصي، ويدخل في الأحكام: التكليف كله من العمل في قسم النافع منه والضار، وحفظ الأمر والنهي والندب»[٢].

وخلال القرن السادس الهجري برز الرازي (ت ٦٠٦هـ)، يوصفه علمًا من أعلام التفسير العلمي، وذلك من خلال تفسيره مفاتيح الغيب، فطبق في تفسيره ما جدّ في البيئة الإسلامية من ثقافة علمية وفكرية على آيات القرآن الكريم، مستدلًا بذلك على وحدانية الله وقدرته[٣].

وقد ذكر ابن أبي الفضل المرسي (ت ٦٥٥هـ) احتواء القرآن الكريم على العلوم بأنواعها، وذكر بأن القرآن احتوى على علوم أخر من علوم الأوائل، مثل: الطب والجدل والهيئة والهندسة والجبر والمقابلة والنجامة وغير ذلك، وأخذ يستدل على كل علم بأدلته من القرآن الكريم[٤].

---

(٢) قانون التأويل، أبو بكر محمد بن العربي، تحقيق: محمد السليماني، دار القبلة للثقافة الإسلامية، السعودية، ط١، ١٩٨٦م، ص٥٠٤.
(3) المصدر السابق، ص٥٤١.
(١) ينظر: التفسير العلمي للقرآن في الميزان، أحمد عمر أبو حجر، دار المدار الإسلامي، بيروت ، ط٢ ، ٢٠٠١ ، ص١٤٦.
(٢) ينظر: الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ناشرون، دمشق، ط١، ٢٠٠٨، ١٢٦/٢،

وهذا المنهج الذي انتهجه ابن أبي الفضل المرسي (ت ٦٥٥هـ)، هو منهج غريب وبعيد عن مقصد القرآن وهدايته، لأن هذه العلوم والصنائع والآلات التي ذكرها وجعلها من العلوم التي احتواها القرآن، لم يكن المقصود من ورودها ورودًا عابرًا اقتضاه المقام في ذكر قصة أو عظة وعبرة، أو الإشارة إليها في آيات القرآن لتقرير أنها علوم ومعارف وفنون أنزل القرآن بمسائلها وقضاياها لتبحث في تفسيره كما تبحث في معاملها بآلاتها ووسائلها التجريبية الخاصة... ومن جهة أخرى لو تأملنا هذه الأمثلة التي ساقها وأخذ منها دلالتها على قضايا معينة، هي في واقع الأمر لا تدل عليها، كأخذه مثلًا من قوله تعالى: چ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ چ [المرسلات: ٣٠] دلالتها على قاعدة هندسية، وهي أن الشكل المثلث لا ظل له، في حين أن الآية أثبتت ظلًا، ولكنه مسلوب خصائص الظل(١).

وفي القرن الثامن الهجري ظهر بدر الدين الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، مؤيدًا قويًا للتفسير العلمي، فعقد فصلًا في كتابه «البرهان في علوم القرآن»، بعنوان: في القرآن علم الأولين والآخرين، قال فيه: «وفي القرآن علم الأولين والآخرين، وما من شيء إلا ويمكن استخراجه منه لمن فهّمه الله

التفسير والإعجاز العلمي في القرآن الكريم، مرهف سقا،دار الأمين للطباعة، دمشق، ط١، ٢٠١٠م، ١٢٥/١، التفسير العلمي للقرآن في الميزان، أحمد أبو حجر، ص١٥٣.

(١) ينظر: القرآن العظيم هدايته وإعجازه في أقوال المفسرين، محمد الصادق عرجون، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٨٩م، ص٢٥٦، التفسير العلمي للقرآن في الميزان، أحمد عمر أبو حجر، ص١٥٦-١٥٧.

تعالى»[١].

وعقد فصلًا في حاجة المفسر إلى الفهم والتبحر في العلوم، فقال فيه: «كتاب الله بحر عميق، وفهمه دقيق لا يصل إلى فهمه إلا من تبحّر في العلوم، وعامل الله بتقواه في السر والعلانية وأجَلَّهُ عند مواقف الشبهات.

واللطائف والحقائق لا يفهمها إلا من ألقى السمع وهو شهيد، فالعبارات للعموم وهي للسمع، والإشارات للخصوص وهي للعقل، واللطائف للأولياء وهي المشاهد، والحقائق للأنبياء وهي الاستسلام»[٢].

وأيّد السيوطي (ت ٩١١هـ) التفسير العلمي للقرآن الكريم، فقال: «وأنا أقول: قد اشتمل كتاب الله العزيز على كل شيء، أما أنواع العلوم فليس منها باب ولا مسألة هي أصل إلا وفي القرآن ما يدل عليها، وفيه عجائب المخلوقات وملكوت السماوات والأرض، وما في الأفق الأعلى، وما تحت الثرى.. إلى غير ذلك مما يحتاج شرحه إلى مجلدات»[٣].

ولا يستطيع الباحث أن يَغْفُل أعلامًا أيدوا هذا الاتجاه في تفسير القرآن الكريم، كالبيضاوي (ت ٧٩١هـ) في أنوار التنزيل، والنيسابوري (ت ٧٢٨هـ) في غرائب القرآن ورغائب الفرقان.

ومن المعلوم أن معظم هؤلاء المفسرين اكتفوا بالتأييد النظري للتفسير العلمي والدعوة إليه، ولم يمارسوا التفسير العلمي في تفاسيرهم عمليًا،

---

(٢) البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي،تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث ،القاهرة ، ط٣ ، ١٩٨٤، ١٨١/٢.
(٣) المصدر السابق، ١٥٤/٢.

(١) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ١٢٩/٢.

بحيث يصح اعتباره اتجاهًا لهم، اللهم إلا الفخر الرازي، الذي كان رائدًا بحق للتفسير العلمي في القرآن الكريم، ومارسه عمليًا في تفسيره: مفاتيح الغيب[١].

وكذلك البيضاوي والنيسابوري إذا عرض أي منهما للآيات الكونية فإنه لا يتركها دون أن يخوض في مباحث الكون والطبيعة، ولعل هذه الظاهرة سرت إليهما من تفسير الرازي اللذان استمدا منه[٢].

ويُعد تفسير «روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني» للآلوسي (ت ١٢٧٠هـ) من أبرز التفاسير التي اتخذت اتجاه التفسير العلمي للقرآن الكريم «فقد عرض الشيخ رحمه الله للمسائل الكونية وأسهب في الكلام عليها، ويذكر في تفسيره ما يقوله أهل الهيئة والحكمة، ويقر من كلامهم ما يرتضيه، ويفند ما لا يرتضيه، كما سجل في تفسيره موقفه من بعض ما يسمعه عن العلوم في أوروبا، فيعلق عليها منتقدًا حسبما فهم من القرآن»[٣].

وقد تأثر الآلوسي بطريقة الرازي في تفسيره، فسار عليها، ولكن دون أن يستسلم له، فكان يتابع عليه في مواضع عديدة، مستعينًا على ذلك بنقد النيسابوري للرازي، أو بما استجد لديه من معارف جديدة في عصره[٤].

ولم تسجل حركة التفسير العلمي للقرآن الكريم تقدمًا جادًا بعد الآلوسي

---

(٢) ينظر: التفسير العلمي التجريبي للقرآن الكريم، عادل الشدي، ص٢٦، ٢٧.
(٣) ينظر: التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٧ ، ٢٠٠٠م ، ص٢١٣-٢٣٢.
(١) التفسير والإعجاز العلمي في القرآن، مرهف سقا، ١٣٥/١.
(٢) ينظر: المرجع السابق، ١٣٦/١.

رحمه الله.

«فأخذت طابع الجمود على تحليل الألفاظ والنقل والنسخ والاعتماد على ما سبق، وأمثل من حاول في التأليف في التفسير كان يقصر محاولته على تفسير سورة أو آية، يجرد تفسيرها من جملة التفاسير التي تقع له، ويجعل ذلك كتابًا أو رسالة تحمل اسمه»[١].

تطور التفسير العلمي للقرآن الكريم في العصر الحديث:

ازدادت العناية بهذا اللون من ألوان التفسير في العصر الحديث، ولقد عني بعض المشتغلين بالتفسير والكُتَّاب المسلمين بالتفسير العلمي في ضوء الأسباب التالية[٢]:

١) الكشوف العلمية التي امتاز بها العصر الحديث، والتي تناولت الطبيعة في مظاهرها وفروعها المتعددة: «النبات والحيوان والفلك، والجغرافية».

٢) محاولة المسلمين اللحاق بركب التقدم العلمي والتأكيد على عدم معارضة القرآن والإسلام للعلم.

٣) وجد المسلمون في هذا اللون من ألوان التفسير تأكيدًا لإعجاز القرآن أو بابًا جديدًا من أبوابه.

ولقد كان للعلماء المهتمين بدراسة التفسير نظرة أثرت في الاتجاه التفسيري، تأثيرًا لا يسعنا إنكاره، وهو العمل على التخلص من كل الاستطرادات

(٣) المرجع السابق، ١٤٥/١.
(١) ينظر: مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه، عدنان زرزور، ص٢٣١-٢٣٤.

العلمية التي حشرت في التفسير ومزجت به على غير ضرورة لازمة، والتوفيق بجد بالغ وجهد ظاهر بين القرآن وما جدّ من نظريات علمية صحيحة، على تفاوت الموفقين في الغلو والاعتدال، وكان ذلك من أجل أن يعرف المسلمون وغير المسلمين أن القرآن هو الكتاب الخالد الذي يتمشى مع الزمن في جميع أطواره ومراحله(١).

ونظرًا لاختلاف معارف العلماء في العلوم، وفي فهمهم لدلالات القرآن الكريم، فقد اختلفت مناهجهم في تفسير القرآن الكريم، فمنهم من جاءت أعماله مشوبة بعلائق ورواسب تلك النظريات والفلسفات الوافدة فأدخلها في تفسيره، وراح يخضع نصوص القرآن لها، ويحمله عليها حملًا لا ترتضيه لغة العرب التي نزل القرآن بها، فأخذوا بالغلو في هذا الاتجاه، وعلى رأسهم طنطاوي جوهري (ت ١٣٥٨هـ).

ومنهم من حاول التحرز عنها، وجاهد ليسير بعزم جديد يدفعه إلى تناول ما أمامه من هذه المستحدثات الوافدات والنظريات، فكان الاعتدال سمتهم في هذا الاتجاه، وأبرزهم: جمال الدين القاسمي (ت ١٣٣٢هـ)، ومحمد الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣هـ)، وآخرون.

ومنهم من عارض هذين المنهجين ووجد في عمل هؤلاء وهؤلاء خروجًا عن الجادة، ورأوا أن نهضة الأمة لا تكون بهذا النوع من التفسير ومسايرة النظريات، وإخضاع القرآن الكريم لها، فأخذوا في معارضة هذا الاتجاه من التفسير، وأبرز هؤلاء: محمد رشيد رضا (ت ١٣٥٤هـ)، والشيخ محمود

(١) ينظر: التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، ٣٦٤/٢.

شلتوت (ت ١٣٨٣هـ)، وغيرهما[١].

ويُعد الطنطاوي جوهري (ت ١٣٥٨هـ) أسبق من استغل النظريات الحديثة في تفسير القرآن الكريم في هذا العصر في تفسيره «الجواهر في تفسير القرآن المشتمل على عجائب بدائع المكنونات وغرائب الآيات الباهرات».

«فقد كان يؤمن أن القرآن لا يفسر إلا بالعلم الحديث، لأن العلم لعصره قد أصبح المعول عليه في إقناع العقول، والمسلمون في حاجة إلى هذا اللون من التفسير لتخلفهم في المجالات العلمية وسبق غيرهم فيها، وإن الآيات التي تحمل الإشارات العلمية في القرآن الكريم كثيرة إذا قورنت بغيرها، وهي لم تحظ بما حظيت به الآيات في المجالات الأخرى»[٢].

وقد غالى الشيخ الجوهري كثيرًا في المنهج الذي اتبعه في التفسير، فأثار تفسيره جدلًا واسعًا في الساحة العلمية، حتى عدّه بعض الباحثين مثالًا للانحراف والمغالاة في التفسير العلمي للقرآن الكريم[٣].

وفي مطلع القرن الخامس عشر الهجري شهد التفسير العلمي تطورًا واهتمامًا كبيرًا، وكَثُر المهتمون به، وانتشرت المؤلفات فيه بشكل غير مسبوق، وأفردت فيه المصنفات المستقلة.

ويُلاحظ أن اتجاه التفسير العلمي في هذه الفترة، صار يأخذ طابع التفسير الموضوعي من خلال تناول القضايا الكونية في القرآن الكريم، وكَثُرت

---

(٢) ينظر: التفسير والإعجاز العلمي في القرآن، مرهف السقا، ١٤٦/١-١٤٩.

(١) التفسير والإعجاز العلمي في القرآن، مرهف السقا، ١٦٤/١-١٦٥.

(٢) ينظر: الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم، دوافعها ودفعها، محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٣، ١٩٨٦م، ص٩٥-٩٦، والمرجع السابق، ١٦٨/١.

الكتابات في الإعجاز العلمي أيضًا، إلا أن أغلب من تصدروا للكتابة في الإعجاز العلمي كانوا من المختصين في العلوم الكونية، وهذا إن كان ميزة فإنه عيبٌ في ذات الوقت، فكيف يتصدر علماء الكونيات لكشف دلالات القرآن الكريم دون تأهلهم في التفسير وعلوم القرآن الكريم.

وأبرز المؤلفات في التفسير العلمي في هذه الفترة انقسمت إلى قسمين[١]:

أولهما: الدراسات التأصيلية النظرية التي تناولت التفسير العلمي وحكمت له أو عليه.

والقسم الثاني: المؤلفات التي مارس أصحابها التفسير العلمي عمليًا في كتبهم.

ومن أبرز الدراسات التأصيلية النظرية حول التفسير العلمي للقرآن الكريم:

- التفسير العلمي للقرآن الكريم د. عبد الله الأهدل
- اتجاهات التفسير في العصر الراهن د. عبد المجيد عبد السلام المحتسب
- اتجاهات التجديد في تفسير القرآن في مصر د. محمد إبراهيم الشريف
- التفسير العلمي للقرآن في الميزان د. أحمد عمر أبو حجر
- التفسير والإعجاز العلمي في القرآن.. ضوابط وتطبيقات د. مرهف السقا
- التفسير العلمي التجريبي للقرآن الكريم.. جذوره وتطبيقاته والموقف منه د. عادل الشدي
- اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر د. فهد الرومي
- مناهج المفسرين د. مصطفى مسلم

(١) ينظر: التفسير العلمي التجريبي للقرآن الكريم، عادل الشدي، ٢٦، ٢٧.

ومن أبرز المؤلفات التي مارس أصحابها التفسير العلمي للقرآن الكريم عمليًا:

- التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن حنفي أحمد
- الكون والإعجاز العلمي للقرآن الكريم د. منصور حسب النبي
- الآيات الكونية في ضوء العلم الحديث د. منصور حسب النبي
- لفتات علمية من القرآن يعقوب يوسف
- من آيات الإعجاز العلمي، السماء في القرآن الكريم
د. زغلول النجار
- من آيات الإعجاز العلمي، الأرض في القرآن الكريم
د. زغلول النجار
- موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، آيات الله في الآفاق
د. محمد راتب النابلسي

ولا شك أن التقدم العلمي الذي شهده العصر الحديث قد خدم هذا الاتجاه التفسيري، وساعد على رواجه رواجًا كبيرًا، بسبب كثرة الكشوف الحديثة التي امتاز بها هذا العصر.

الخاتمة :

أحمدُ الله تعالى على ما وفق وأعان، وأصلي وأسلم على سيدنا محمَّد خير الأنام، صلى الله عليه وآله وصحبه والتابعين، ثم أما بعد،

فقد بذلت جهدي في هذا البحث – قدر طاقتي – لإيضاح نشأة التفسير العلمي للقرآن الكريم مع بيان أسباب نشأته، ثم تطوره ورواجه في العصر الحديث، وقد خلُص هذا البحث إلى ما يلي :

١- أهمية التفسير العلمي للقرآن الكريم، حيث إنه يعد بابا من أبواب الدعوة إلى الله في هذا العصر الحديث الذي تغلب عليه المادة .

٢- أدرك كثير من المفسرين القدماء أهمية هذا اللون من ألوان التفسير، ومارسه بعضهم عمليا في تفاسيرهم وفق ما تيسر لهم من علوم ومعارف في عصورهم.

٣- ازدادت العناية بالتفسير العلمي للقرآن الكريم في العصر الحديث نتيجة كثرة الكشوف العلمية التي امتاز بها هذا العصر، والتي ساعدت على رواج هذا اللون من ألوان التفسير.

المصادر والمراجع :

- القرآن الكريم.
- اتجاهات التفسير في العصر الراهن، عبد المجيد عبد السلام المحتسب، مكتبة النهضة الإسلامية، الأردن، ط٣، ١٩٨٢م.
- الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم، دوافعها ودفعها، محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٣، ١٩٨٦م.
- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ناشرون، دمشق، ط١، ٢٠٠٨.
- إعجاز القرآن، عبد الله شحاتة، دار مايو الوطنية للنشر، القاهرة، (د.ت).
- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي،تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث ،القاهرة ، ط٣ ، ١٩٨٤.
- تاريخ التمدن الإسلامي، جورجي زيدان، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، (د.ت).
- التفسير العلمي التجريبي للقرآن الكريم، جذوره وتطبيقاته والموقف منه، عادل علي الشدي، مدار الوطن للنشر، الرياض، ط١، ٢٠١٠م.
- التفسير العلمي للقرآن في الميزان، أحمد عمر أبو حجر، دار المدار الإسلامي، بيروت ، طـ٢ ، ٢٠٠١.

- التفسير والإعجاز العلمي في القرآن الكريم، مرهف سقا،دار الأمين للطباعة، دمشق، ط١، ٢٠١٠م.
- التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٧ ، ٢٠٠٠م.
- جواهر القرآن، أبو حامد الغزالي، تحقيق: محمد رشيد رضا القباني، دار إحياء العلوم، بيروت، ط٢، ١٩٨٦م.
- العلاقة بين القرآن والعلم، محمد علي رضائي الأصفهاني، تعريب: السيد الهاشمي، مركز البحوث والدراسات القرآنية، إيران، ط١، ٢٠١٥م.
- قانون التأويل، أبو بكر محمد بن العربي، تحقيق: محمد السليماني، دار القبلة للثقافة الإسلامية، السعودية، ط١، ١٩٨٦م..
- القرآن العظيم هدايته وإعجازه في أقوال المفسرين، محمد الصادق عرجون، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٨٩م.
- المعجزة الخالدة، حسن ضياء الدين عتر، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط٣، ١٩٩٤م.

The early emergence of the scientific interpretation of the Qur'an and its development in The modern era

By

Taha Muhammad Salahuddin Taha

Prof. Dr. Abdel Karim Mohamed Jabal

Professor of Linguistics, Faculty of Arts - Tanta University

Prof. Dr. Abdel Maqsoud Jaafar

Professor of Islamic Studies, Faculty of Arts - Benha University

Abstract:

This research was concerned with clarifying the reasons for the emergence of the scientific interpretation of the Noble Qur'an, explaining the scholars and commentators who supported and advocated this type of interpretation, and practiced it in practice in their interpretations.

The beginnings of the emergence of the scientific interpretation of the Holy Qur'an go back to the fifth century AH

Attention to the scientific interpretation of the Noble Qur’an has increased in the modern era, due to the large number of scientific discoveries that characterized this era, and which helped in its great popularity.

Keywords: The genesis of interpretation, interpretation, scientific interpretation